



مجلة الفلسفة

العدد ٢٧ حزيران ٢٠٢٣

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

تعنى بنشر البحوث في مجالات الفلسفة المختلفة

وما له صلة بها في العلوم الإنسانية الأخرى

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL

COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

DOI: 10.35284 المعرف الدولي

ISSN: 1136-1992 الترقيم الدولي



الكيونوت والعالم الافتراضي السؤال عن معنى الوجود في عصر ما بعد الإنسان
تجليات الفلسفة والتصوف في لامية الشهرزوري
في طبيعة الفعل الأخلاقي لدى أرسطو
اللوكري وأراؤه الكلامية دراسة في الإلهيات
ميشيل فوكو إجرائية الإبيستيمي والنسخ المشوهة للخطاب
الفلسفة السياسية وأنظمة الحكم من منظور أرسطو ولوك ومونتسكيو
العلوم النظرية وأقسامها عند فلاسفة المشرق العربي
من أزمة الوعي الشقي إلى الاغتراب الديني المسيحي في فلسفة هيجل
مفهوم الهيمنة عند أنطونيو غرامشي

Ideology versus Philosophy

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية

مجلة الفلسفة

العدد ٢٧

حزيران ٢٠٢٣

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Mustansiriyah University



PHILOSOPHY Journal

No. 27 June 2023

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL

COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

CONCERNED WITH PUBLISHING RESEARCHES IN VARIOUS
FIELDS OF PHILOSOPHY AND WHAT IS RELATED TO IT IN
OTHER HUMAN SCIENCES

ISSN: 1136-1992

DOI: 10.35284

Being and the Virtual The Question of the Meaning of Being
in Post-Human Era

The Manifestations of Philosophy and Mysticism
in Al-Shahrazouri's Lamiat

On the Nature of Moral Act in Aristotle

Al-Lukari and His Theological Opinions

Michel Foucault The Epistemic Procedural and the Distorted
Versions of Discourse

Political Philosophy and Governance Systems from the Perspective
of Aristotle, John Locke and Montesquieu

Theoretical Sciences and Their Parts in East Arab Philosophers

From the Crisis of Miserable Consciousness to Christian Religious
Alienation in Hegel's philosophy

The Concept of Dominance in Antonio Gramsci

Ideology versus Philosophy

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على الترخيم الدولي ISSN:(1136-1992)

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم prefix: 1035284

هيئة التحرير

-رئيس التحرير أ.د.حسون عليوي فندي السراي
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة
-مدير التحرير م.د.محمد محسن أبيش
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى النشار (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)
أ.د. يمنى طريف الخولي (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)
أ.د. خوان ريفيرا بالومينو (سان ماركوس – بيرو)
أ.د. عفيف حيدر عثمان (الجامعة اللبنانية – لبنان)
أ.د. إحسان علي شريعتي (كلية الأديان / جامعة طهران – إيران)
أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية – مصر)
أ.د. علي عبد الهادي المراهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)
أ.د. صلاح فليفل عايد الجابري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)
أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي (كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)
أ.د. إحسان علي الحيدري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)
أ.د. زيد عباس الكبيسي (كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق)
البريد الإلكتروني

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

ترقيم دولي ISSN:(1136-1992)

فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢) لسنة (٢٠٠٢)



العدد السابع والعشرون

حزيران

٢٠٢٣

مسؤول الدعم الفني

م.د. مؤيد جبار رسن

كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د.زينب معين احمد

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م.أنثى محمد مجيد

مسؤول الموقع الالكتروني

م.د أسماء جعفر فرج

نصميم وطباعة

مكتب الأنثى

للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

المحتويات

رئيس التحرير	كلمة العدد
أ.م.د. جواد كاظم عبهول ٢٦-١	محور الفلسفة اليونانية والإسلامية
أ.م.د. رياض سحيب روضان ٦٤-٢٧	تجليات الفلسفة والتصوف في لامية الشهرزوري
أ.م.د. سلام عبد الجليل حسين ٩٠-٦٥	اللوكري وآراؤه الكلامية : دراسة في الإلهيات
الباحث : علي حسن سلمان ١٠٢-٩١	في طبيعة الفعل الأخلاقي لدى أرسطو
أ.م.د. فوزي حامد الهيتي	العلوم النظرية وأقسامها عند فلاسفة المشرق العربي
	محور الفلسفة الحديثة والمعاصرة
	الكينونة والعالم الافتراضي
أ.د. كريم حسين الجاف ١٢٤-١٠٣	السؤال عن معنى الوجود في عصر ما بعد الإنسان
أ.م.د. حيدر ناظم محمد ١٤٠-١٢٥	ميشيل فوكو : إجرائية الإبستيمي والنسخ المشوهة للخطاب
	من أزمة الوعي الشقي والاعتراب الديني المسيحي
الباحثة : مروة عبد فهد ١٥٨-١٤١	في فلسفة هيجل
أ.م.د. قاسم جمعة راشد	
	محور الفلسفة السياسية
	الفلسفة السياسية وأنظمة الحكم من منظور
م.د. عدي حسن مزعل ١٨٤-١٥٩	أرسطو وجون لوك ومونتسكيو
الباحثة ميسم محمد هاشم	مفهوم الهيمنة عند أنطونيو غرامشي
أ.م.د. حيدر ناظم محمد ١٩٨-١٨٥	
	محور نصوص مترجمة
أ.م.د. فريدريك نيتشه ٢٠٢-١٩٩	حول مستقبل مؤسساتنا التعليمية
ترجمة : أ.د. حمادة أحمد علي	
حوار مع إدغار موران ٢٠٨-٢٠٣	يجب أن نتعلم الإبحار داخل محيط من اللاتقنيات
ترجمة : يوسف اسعيدة	

محور دراسات باللغة الانكليزية

Dr. Edmond Melhem

Ideology versus Philosophy

31-44

العدد
السابع والعشرون
حزيران
٢٠٢٣

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة
المستنصرية
كلية الآداب/قسم
الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨

journalofphil@
.uomustansiriyah
edu.iq

مفهوم الهيمنة عند أنطونيو غرامشي

الباحثة: ميسم محمد هاشم

أ.م.د. حيدر ناظم

الملخص

فلم تخرج الماركسية من عباءة الفهم الكلاسيكي للسلطة بل حرصت على البقاء تحتها. بل حتى تمثيلها وقد ظهر ذلك جلياً في تنظيرات غرامشي للسلطة التي تجلت لنا على شكل ملاحظات مشفرة في دفاتر السجن، فقد منح غرامشي السلطة للدولة بوصفها جهاز لممارسة السلطة والهيمنة في وقت واحد.

ولكن السؤال الأهم ما وجه العلاقة بين مفهومي الهيمنة والسلطة؟

يعتقد غرامشي ومن قبله التيار الماركسي إن السلطة ظاهرة اقتصادية طبقية، توصف بكونها أداة لسيطرة طبقة على أخرى بوسائل متعددة تصل أحياناً إلى حد العنف، أما الهيمنة فهي مفهوم متناقض كونه يركز على القمع من جهة والإقناع من جهة أخرى، فلكي تبسط الدولة سيطرتها وتضمن استمرارية سيادتها تلجأ إلى هاتين الوسيلتين.

المثقف و وظيفة الهيمنة

من هو المثقف ؟ وما هي تلك الشروط

التي تجعل من الإنسان مثقفاً؟

وسع غرامشي من مفهوم المثقف المتعارف عليه، وخالف الرأي الدارج، الذي يحدد مفهوم المثقف بالإنسان الذي يستخدم عقله قبالة الإنسان الذي يستخدم يديه، فالمجتمع يتكون من فئتين فئة الشغيلة

انصبَّ عمل غرامشي في سجون موسولينى على إعادة صياغة ما كتبه ماركس بأسلوب إبداعي إلهامي، اذ من الممكن عد غرامشي مجدداً للماركسية بسبب ما إستحدثه من مفاهيم لم تكن الماركسية قد تطرقت لها من قبل (كالمثقف، والحزب، والهيمنة) .عرفت هذه المفاهيم بأهميتها لكونها الأساس الذي تبنى عليه فلسفته. شكل مفهوم الهيمنة إطاراً هاماً ومميزاً في ذات الوقت، بإمكان القارئ التماسه في عمق كتاباته السياسية، والفلسفية، والتاريخية كذلك، ولا أجد من الصواب وصف أو تصنيف مفهوم الهيمنة لديه بأنها هيمنة سياسية فحسب كونها تشمل الثقافي والأخلاقي معاً، ولذلك نراها بوضوح في المجتمع المدني أكثر من المجتمع السياسي. الكلمات المفتاحية:

(سلطة، هيمنة، سيادة، قيادة، مثقف تقليدي، حزب، بروليتاريا، ايدولوجيا)

المقدمة

يكمن الفهم الكلاسيكي المتعارف عليه للسلطة بكونها متجسدة في الدولة وجوهرها سيادة الدولة - الدولة فقط لا غير - هو ما نظّر له الفيلسوف الأنكليزي توماس هوبز» في «الفيثان» والفلاسفة اللذين جاؤوا بعده ومن ضمنهم غرامشي.

المدارس، والتعليم، والأخلاق، والقضاء...الخ. إن إعطاء صفة المنظم للمثقف، جعلت غرامشي يتجه إلى تحديد أكثر لعمل المثقف، وعلى هذا الأساس قسم المثقفين إلى فئتين أو نوعين:

الأول: هو المثقف المحترف التقليدي، كالأديب والعالم، بمعنى الذي تحيط به هالة من الحياد، تخفي وضعه الحقيقي بين الطبقات، ولا يولي غرامشي أهمية كثيرة لهذا النوع من المثقفين، على اعتبار أنهم كانوا في فترة من الفترات السابقة مثقفين عضوين، والآن هم تقليديين بالنسبة للطبقة السائدة المتقدمة، فهم مرتبطون بطبقات زائلة.

أما النوع الثاني: فهو المثقف العضوي، الذي يرتبط عضوياً بالطبقات الاجتماعية السائدة، ويجب أن يحمل أعضاء الطبقة التي يرتبط بها إلى أدراك وحدة مصالحهم، أي أن يعوا مصالحهم، وإلا يتم ذلك إلى بتصور العالم متجانساً ومستقلاً بذاته، وسيتم توضيح الفرق بين المفهومين لاحقاً.

أولاً: معيار المثقف

درّس غرامشي معيار الثقافة بين الناس، حيث وضح أن كل الناس مثقفين، ولكن ليس لكل إنسان وظيفة المثقف في المجتمع، وهذا يعني إنه جعل معيار قيام الإنسان بالوظيفة، هو ما يحدد ثقافته أو ما يحدد كونه مثقفاً، فعندما نميز بين المثقفين وغير المثقفين، فأنا نشير فقط إلى الوظيفة الاجتماعية، التي يمارسونها بشكل مباشر داخل المجتمع (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٥).

اليديويين، وفئة الشغيلة الفكرية، والمعياري الذي يقصر صفة المثقف على مبدعي الأفكار، معيار تعسفي وغير صحيح (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٤-١٦)، لأنه بحسب غرامشي، «لا يوجد نشاط بشري خالٍ من مساهمة شكل من أشكال النشاط الفكري، فلا يمكننا فصل الإنسان الصانع عن الإنسان كنوع (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٥)». بمعنى إننا لا يمكننا تمييز المثقفين عن غير المثقفين، ولا يمكننا الحديث عن غير المثقفين لأنه لا وجود لهم مطلقاً. إذاً من هم المثقفين اللذين يتحدث عنهم غرامشي، هل هم طبقة اجتماعية مستقلة عن باقي طبقات المجتمع؟ أم أن لكل مجتمع طبقته المثقفة، التي يمكن تسميتها بالنخبة؟

سَلِم غرامشي بحقيقة مفادها، إن كل طبقة اجتماعية متواجدة في المجتمع تمارس دوراً فعالاً، سواء أكان اقتصادياً، أم سياسياً، أم حتى ثقافياً، من خلال ممارسة عملها ستخلق حتماً شريحة مثقفة، ووظيفة هذه الشريحة خلق التجانس بين أفراد الطبقة، فهي ستمثل مستوى أعلى من حيث التطور الاجتماعي، ومقدرة قيادية وتكتيكية «فكرية» عالية، وهي بذلك ستكون أشبه بالمنظم (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٢).

أعطى غرامشي مثلاً لشريحة المثقفين من هذا النوع، وهم رجال الدين الذين احتكروا لفترة طويلة من الزمن عدداً من الخدمات الهامة، منها الأيدولوجية الدينية (أي فلسفة وعلم ذلك العصر)، إلى جانب

كبيرة للمدرسة، في قضية صناعة المثقفين، واعتبرها أداة لخلق وتطوير المثقفين، على اختلاف مستوياتها، ويمكن قياس مدى تعقد الوظيفة الثقافية في الدول المختلفة، بعدد ومستويات المدارس المتخصصة، ومن جانب آخر حدد غرامشي، إنتاج المثقفين بالطبقات المنتجة، أي أنها مرتبطة بالطبقة وخصائصها، ففي إيطاليا مثلاً، تنتج البرجوازية الريفية موظفي الدولة على الأخص، والمهندسين، بينما تنتج البرجوازية الحضرية، الفنيين اللازمين للصناعة، فشمال إيطاليا هو الذي ينتج معظم الفنيين، بينما ينتج الجنوب الموظفين، والمهندسين (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٥).

وهذا من شأنه أن يأخذنا، لتسليط الضوء على موضوع أساسي ومهم، وهو اختلاف نمط مثقفي الريف عن المدينة، فالمثقفين اللذين ينتمون إلى النمط الحضري، نمواً وتطوراً مع نمو وتطور الصناعة، وارتبطوا بمصيرها، ويمكن تشبيه وظيفتهم بوظيفة صغار الضباط في الجيش، فليس لهم حق المبادرة المستقلة في وضع خطط البناء، ومهمتهم هي تحقيق الترابط المحكم، بين المنظم وكتلة العمل الآلي، ويشرفون على مراحل العمل الأولية، ويمكن القول بصفة عامة، إن مثقفي المدينة العاديون منمطون للغاية، أما كبار مثقفي المدينة، فيتوحدون أكثر فأكثر مع قادة الصناعة ذاتها (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٩).

فالفنيون في المصنع، لا يمارسون وظيفة سياسية بالنسبة للجماهير العاملة، بل

وانطلاقاً مما سبق، حدد غرامشي مفهوم المثقف العضوي بطريقتين، الأولى منها تعتمد على تعريف المثقف بالمكانة والوظيفة التي يشغلها في داخل بنية اجتماعية، فيكون لدينا تعريف من نمط سوسيولوجي اجتماعي، وهو ما سيطلق عليه صفة العضوي، أما التعريف الثاني فهو من نمط تاريخاني، فيعتمد إلى تحديد المثقف بالوظيفة، والمكانة التي يشغلها في داخل سيرورة تاريخية (جان مارك بيوقي ١٩٩٨، ١٣).

ذكرنا سابقاً أن غرامشي حدد مفهوم المثقف بالوظيفة التي يمارسها في مجتمعه، وهنا يتراءى لنا سؤال مهم، وهو هل يمكن خلق فئة جديدة من المثقفين؟ فئة ترتقي بنشاطها العضلي لكي تنافس النشاط العقلي؟ الهدف من هذا التساؤل هو تحقيق التوازن بينهما، أي أن يصبح الجهد العقلي والعضلي في مستوى واحد، أظن أن من الممكن تحقيق ذلك من خلال تطوير النشاط النقدي، والذي هو نشاط يتمتع به كافة الناس بدرجة أو بأخرى، فالنمط التقليدي الشائع للمثقف، يتمثل في الأديب، والفيلسوف، والفنان، لذلك فإن الصحفيين اللذين يدعون إنهم أدباء، وفلاسفة، وفنانون، يعتبرون أنفسهم أيضاً مثقفون، إذ لابد من أن يشكل التعليم الفني في العالم الحديث - المرتبط بالعمل الصناعي، حتى في مستواه البدائي الغير مؤهل- لخلق مثقف من نوع جديد.

وهذا ما دفع غرامشي إلى إعطاء أهمية

قادرة على إنتاج مثقفيها؟
أم إن هناك طبقة متخصصة في إنتاج مثقفي
المجتمع؟

بمعنى آخر هل سيكون المثقف نتاج
الطبقة البرجوازية، أم ستترك الطبقات في
إنتاجه أو نشأته؟

يرى غرامشي أن أغلب المثقفين تستمدهم
الطبقات الاجتماعية من طبقة الفلاحين،
فضلاً عن أن نسبة كبيرة من المثقفين
التقليديين هم من أصل فلاح، على
الرغم من أن كتلة الفلاحين، تقوم بوظيفة
أساسية في عالم الإنتاج، إلا أنها لم تستطع
خلق مثقفيها العضويين، ولم تستوعب أي
شريحة من شرائح المثقفين التقليديين
(انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٣)، ويعزو
غرامشي سبب ذلك، إلى أن الارتباط العضوي
للشخص الفلاحي الأصل بطبقته، ينتهي إذا
ما أصبح مثقفاً، قساً كان، أو محامياً (عادل
غني ١٩٩٤).

ثانياً: وظيفة المثقف

أعطى غرامشي للمثقفين الذين يرتبطون
بطبقتهم بشكل عضوي، عدة وظائف،
أولها تنظيم الوظيفة الاقتصادية للطبقة،
وبذلك أنتجت البرجوازية الصغيرة في
المدينة الإيطالية تقنيين، وعلى المستوى
الاقتصادي، المثقفون العضويين للرأسمالية،
ومن الجدير بالذكر، إنه في بعض مراحل
التاريخ، قد لا تفلح بعض الطبقات في أن
ترتبط إلا بمثقفين يمارسون وظيفة قيادة
اقتصادية فقط، وهذا كان السبب الرئيسي
في فشل البرجوازية الإيطالية في العاميات(*)،

على العكس يحدث أحياناً، حينما تمارس
الجماهير العاملة على الأقل من خلال
مثقفيها العضويين، تأثير سياسي على
الفنيين. أما مثقفوا الريف، فأغلبهم من
النمط التقليدي، منهم مرتبطون بالأغلبية
الساحقة من أهل الريف، وبطبقة
البرجوازية الصغيرة في المدن، هذا النمط
من المثقفين، هو همزة الوصل بين جماهير
الفلاحين والإدارة المحلية، وإدارة الدولة، وقد
أصبحت لهم بسبب هذا النشاط وظيفة
اجتماعية سياسية هامة، إذ يصعب فصل
الوساطة المهنية عن الوساطة السياسية
(انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٣٠).

وعلى حسب ما تم ذكره سابقاً يمكن
حصر وظيفة المثقفين بـ:

أولاً: منظمي هيمنة الطبقة البرجوازية
في المجتمع المدني، ثانياً: ومنظمي الإكراه
الذي تمارسه - بواسطة الدولة - الطبقة
البرجوازية على سائر الطبقات، والحال
إن هذه النشاطات المتنوعة من النمط
السياسي الفكري، لا يمارسها عادة قادة
الطبقة ذاتها، وإنما وكلاءها المثقفين
العضويين، كما أن المثقفين اللذين تخلقهم
طبقة من الطبقات، أثناء تطورها المتقدم،
يقومون بمهام، هي في الغالب تخصصات
في النشاطات الفكرية الداخلة في الأساس
في إطار الوظيفة التي تمارسها تلك الطبقة
(جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٧).

وفي موضوع نشأة المثقف نتساءل، من أين
يأتي المثقف؟

هل أن كل طبقة من طبقات المجتمع

كونها بقيت في الطور الاقتصادي الحرّفي، ولم تنتج مثقفين على مستوى الهيمنة (*)، ورجح غرامشي ضعف الطبقة الفلاحية الإيطالية لنفس السبب (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٩).

المثقف العضوي والمثقف التقليدي: حدد غرامشي مفهوم المثقف العضوي بالشخص المرتبط عضوياً بالطبقات الاجتماعية، ويعني بالعضوي وجود آصرة وثيقة مرتبطة بطبقة معينة، وهذه الآصرة تتمثل بالمنظمات التي يعمل فيها هؤلاء المثقفون، وقد أعطى غرامشي مثال لحزب المعتدلين أبان عصر النهضة الإيطالي، فبالنسبة لعدد كبير من مثقفي ذلك الحزب، كانت وحدة الممثل والممثل متحققة، وكان المثقفون والمنظمون السياسيون من أصحاب المشاريع ومن التجار، إذاً الرابطة بين المثقف والتنظيم والطبقة شديدة البروز (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٨).

ألتمس هنا نوع من الاستصغار لطبقة المثقفين المرتبطة عضوياً بالطبقات العاملة على وجه العموم، والطبقات الفلاحية على وجه الخصوص، في مقابل إعلاء شأن طبقة البروليتاريا، التي تمارس هيمنتها وسيطرتها على بقية طبقات المجتمع، وتقف خصماً للهيمنة التي تمارسها البرجوازية، هل أنّ إنتاج مثقفين على المستوى الاقتصادي الحرّفي يؤدي إلى إضعاف الطبقة؟ لماذا يجب أن تفتقر القوة والهيمنة مع المثقف حتى تكون الطبقة فعالة، وظاهرة اجتماعياً؟

منح غرامشي للمثقفين وظيفة الهيمنة، وهي التي تمارسها طبقة سائدة في المجتمع، يعملون في مختلف الهيئات الثقافية، والنظام المدني، كأجهزة النشر، والصحف، والإذاعة، والسينما، وبذلك تستطيع البروليتاريا إنتاج مثقفين على مستوى الهيمنة، على اعتبار إنها قادرة بحكم المكانة التي تشغلها في نمط الإنتاج الرأسمالي، على أن تصبو بصورة واقعية، إلى قيادة المجتمع (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٩).

و المثقفون هم أيضاً منظموا الإكراه -بوصفهم ينتمون إلى الحزب- الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بواسطة الدولة، فمنهم يأتي الوزراء والنواب

و الشيوخ، وهم يشكلون كوادرات الجهاز الإداري، والسياسي، والقضائي، والعسكري (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٩).

و لكنّ ألا يعني هذا إن الرأسماليين هم ذاتهم المثقفين؟ هل يمكن أن تجتمع وظيفة الرأسمالي، الذي هو مالك وسائل الإنتاج، ومحتكر فائض القيمة، مع المثقف، الذي هو منظم قيادة الطبقة على مجمل مستويات المجتمع؟ و نفترض جدلاً اجتماعها في شخص واحد، هل سيمارس الفرد عمله في هذه التنظيمات بوصفه رأسمالياً، أم بوصفه مثقفاً؟

يمكن للمثقف العضوي المنحدر من الطبقة العاملة، أن يصبح مثقفاً عضوياً للبرجوازية، وإذا كان المثقف موجود بطبقة هي في الأصل طبقته التي أنحدر منها، له الحرية

وهذا يعني إن هناك إمكانيّة للنظر إلى المثقف التقليدي من زاوية تاريخية، وهذا خلاف الفهم الذي يسوقه غرامشي لمفهوم المثقف العضوي، الذي يحصر وظيفته في الممارسة العملية في الواقع، بيد «أنّ هؤلاء المثقفين يُفرزون أيديولوجياً، ويصورون أنفسهم بناءً عليها أنهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية، وممثلين لأستمرارية تاريخية» (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٥٦).

«إذا كان مفهوم الاستقلالية، يتيح لنا فهماً أفضل للسيرورة التاريخية، فإنّه أيضاً مؤشّر على مشكلة، لم يحلّها بعد الفكر الماركسي تمام الحل، إذ كيف نفسر بقاء المثقفين بعد الزوال التام للطبقات الاجتماعية، التي كانت بمثابة ركائز لهم؟ كيف تفسر أن الإكليروس بقي على قيد الحياة، بعد زوال طبقة الأرستقراطيين زوالاً تاماً؟ كيف تفسر ذلك الاستقلال الذاتي التاريخي الكبير للمثقفين، عن البنى الاقتصادية، والسياسية؟ فلو استولت البروليتاريا الإيطالية على زمام السلطة غداً، لتوجب عليها أن تمثل مثقفي البرجوازية العضويين، والمثقفين الذين أنتجهم البرجوازية الصغيرة الريفية، والأكليروس!» (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٩٠). نلاحظ هنا أنّ غرامشي منح إستقلالية ذاتية نسبة للمثقفين التقليديين، شبيهة بالتي يمتلكها المثقفين العضويين، إذا ماهي وظائفهم؟ لأننا نعلم إن استقلالية المثقفين العضويين تأتي من ممارسة وظائفهم، ومن سطوتهم على المجتمع، فضلاً عن دورهم النقدي، أما بالنسبة للمثقفين التقليديين،

في أن يرتبط بطبقة أخرى، وهذا يعني أن الكينونة الطبقيّة، والتنظيم الطبقي لا يتطابقان على الدوام، ومن الممكن أن يتعارض الأصل الطبقي مع الانتماء الطبقي، بمعنى إن المثقف العضوي يتمتع باستقلال ذاتي نسبي حيال الطبقات الاجتماعية، فهو مرتبط وليس ملتصق، وهذا يأتي من الوظيفة التي يمارسها كمنظم، ومربي، وعالم، ومحقق للتجانس والوعي الطبقي، على المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، ومن تعريف غرامشي للمثقف العضوي، نلمح ظل لينين خلف فكر غرامشي، فلينين العالم المنتج لمعرفة جديدة، ومربي البروليتاريا بعملة النضالي، ومنظم هيمنة البروليتاريا على الفلاحين، وهو مثال للمثقف العضوي الكامل في نظر غرامشي (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٢٨).

أما مفهوم المثقف التقليدي، فيشير به غرامشي إلى المثقفين اللذين يستمرون بالوجود بعد زوال طبقاتهم، أي نمط الإنتاج الذي انبثقوا منه، بمعنى إنه في فترة الانتقال من نمط الإنتاج الإقطاعي إلى نمط الإنتاج الرأسمالي، يظهر لنا مثلاً (رجال الدين) اللذين يشكلون مثقفين كانوا مرتبطين عضويّاً، بنمط الإنتاج السابق، (الإقطاعي) الذي سيكون زائلاً، وبذلك يطلق عليهم مثقفين تقليديين، وهم اللذين لا يرتبطوا بالطبقات الأساسية في الوقت الحالي، وعلى هذا الأساس، ينعت المثقف بأنه تقليدي بالنسبة إلى طبقة متقدمة (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٥٤).

وسيادتها على الأخرى، وتعتبر الهيمنة مرادفة لمفهوم التفوق والتسلط العسكري في أغلب الأحيان، ومن الممكن أيضاً أن تكون ذات طابع سياسي، وأيدولوجي، واقتصادي، وثقافي أيضاً (عبد الوهاب الكيالي ١٩٩٤، ٢٣٧).

تشكل الهيمنة مفهوماً عاماً ومركزياً في ملاحظات غرامشي، فعند التعمق في دراستها، نجدها في كتاباته السياسية، والفلسفية، والتاريخية، جامعاً بين النظرية والممارسة، ويأتي أحياناً مرادفاً لدكتاتورية البروليتاريا (سميث جيوفري و كينتين هور ١٩٩١، ١٩٥) لذلك يركز مفهوم غرامشي للهيمنة على الإكراه والموافقة، وفي ملاحظاته على ميكافيلي (أمير ميكافيلي)، يستحضر غرامشي الأسطوري (كريك سنتور) الذي يتكون من نصف إنسان ونصف حيوان، كرمز للمنظور المزدوج في العمل السياسي، لمستويات القوة، والقبول، والسلطة، والعنف، والهيمنة، والحضارة (RogerSimon ١٩٩١، ٢٤).

يختلف مفهوم الهيمنة الغرامشية عن المفهوم اللينيني، عند لينين الهيمنة تعني بناء تحالفات سياسية، لأهداف متعلقة بالثورة، وبطبقة البروليتاريا، أما عند غرامشي، فتأتي الهيمنة بإطار أوسع من الهيمنة السياسية، فهي لديه تشمل الأيدولوجية والأخلاقيات معاً، بمعنى إنها تعني سيادة، أو تسييد طبقة اجتماعية أساسية، وسط جماهير تابعة لطبقات، وفئات وسيطة، خاضعة، كان يسميها غرامشي (الشعب)، ولقد جعل غرامشي الممارسة الهيمنية، مفتوحة

فهم ينتمون كما أسلفنا إلى طبقات زائلة ليس لها تأثير على المجتمع، إذن لماذا الاستقلالية؟

الهيمنة

ماهي الهيمنة؟ وكيف تظهر؟ ما الذي يستدعي وجودها وهل هي ضرورية داخل المجتمع؟

تترجم الهيمنة في اللغة الإيطالية إلى عدة معانٍ منها (والتي تعني سيادة supremazia) (والتي تعني هيمنة egemonia) (والتي تعني مراقبة sorveglianza) (والتي تعني خاضع للسيادة controlled) (منير البعلبي ٢٠٠٩، ٦٦٦).

كما إنه جاءت في اللغة الإنكليزية بمعانٍ مشابهة للإيطالية، كـ ((dominance) والتي تعني سيادة، سيطرة، هيمنة، و((domination) التي تعني مسيطر، مهيمن، ذات سلطة، (منير البعلبي، المورد الحديث ٢٠١٢، ٣٦٤) وفي موضع آخر وردت بمعنى سيطرة، غلبة (منير البعلبي، المورد الكبير ٢٠٠٩، ٥٩٨).

فضلاً عن ورودها في المعاجم العربية بمعنى سائد، غالب، أو متغلب، مسيطر، راجح، حاكم، ذو نفوذ أعلى (حارث الفاروقي، ٢٣٠).

يعتبر هذا المفهوم موعلاً في قدمه، إذ يعني عند الأغريق سيادة مدينة ما، أو شعب ما، على مدن أخرى، ويمكن فهم هذا الأمر، من خلال الصراع القاسي والمرير الذي دخلت فيه كل من أثينا واسبارطه اليونانيتين، لكي تؤكد كل منهما هيمنتها

الذي يربط الأجزاء المختلفة من الجبهة التاريخية معاً (ساسون ان شوستاك ٢٠١٦، ٢١).

وفي المثال الشهير للمسألة الجنوبية، نرى في التطبيق كيف تتكون الكتلة التاريخية الإيطالية، من رأسمالي الشمال وكبار ملاك الأرض في الجنوب، وإن دور المثقف الثوري هو إيجاد ثغرات الكتلة وملئها، من أجل تكوين كتلة جديدة (سميث جيوفري و

و كينتين هور ١٩٩١، ٢٠٠).
إذاً: هل هناك شريحة معينة تختص بممارسة الهيمنة؟ بمعنى آخر هل خصص غرامشي الهيمنة للدولة فقط، أم بإمكان أي طبقة اجتماعية تمتلك نوع من القوة، أن تمارس الهيمنة، على فرض إن القوة إحدى مقومات ممارسة الهيمنة؟

لم نجد في كراسات السجن لغرامشي أي تحديد لشريحة معينة في المجتمع، بإمكانها أن تمارس الهيمنة، لكن منح غرامشي حق ممارسة الهيمنة، لكل شريحة اجتماعية بإمكانها القيام بالوظيفة البيروقراطية، فإمكان الدولة ممارسة الهيمنة بما تتمتع به من إمكانيات تسعفها للقيام بالوظيفة البيروقراطية، وإمكان الحزب أيضاً طالما يتمتع بأدوات الحكم البيروقراطي، وأيضاً بإمكان أي طبقة اجتماعية تستطيع إقناع أتباعها بما تأتي به من أفكار لتطوير مجتمعها، إذن لم يحدد شريحة معينة؟

أولاً: هيمنة الدولة
بينا سابقاً أن البيئة الاجتماعية في التراث الماركسي، تنقسم إلى بنية تحتية،

وممكنة للطبقات الأساسية فقط، ومن هنا أصبح يرى الصراع هيمنياً (سميث جيوفري و كينتين هور ١٩٩١، ٢٤٧).

خص غرامشي المجتمع المدني بالهيمنة، وهو يراه مكملاً لمفهوم الدولة، فالدولة لا ينبغي أن تُفهم على إنها جهاز حكومة فقط، بل أيضاً جهاز مختص بالهيمنة (سميث جيوفري و كينتين هور ١٩٩١، ١٩٦).

تظهر الهيمنة عندما تشترك مصالح مجموعة اقتصادية، مع مصالح مجموعات أخرى تندرج تحتها، عند ذلك يحدث التوحد السياسي، والاقتصادي، ولا يتم ذلك إلا بهيمنة مجموعة اجتماعية أساسية، على مجموعات خاضعة لها (سميث جيوفري و كينتين هور ١٩٩١، ١٩٧)، ففي الصراع الاجتماعي، هناك طبقة سائدة تمارس الهيمنة عبر المجتمع المدني، وهناك طبقات مسودة تحاول طليعتها الثورية أن تشكل هيمنة جديدة، لها فكرها وأخلاقياتها، يحدث ذلك في داخل تكوينه أسماها غرامشي (الكتلة التاريخية)) *، التي تعني ائتلاف واسع من عدة طبقات وفئات اجتماعية، وقوى وتيارات سياسية، واقتصادية، وثقافية تدور في فلك طبقة أو فئة مهيمنة، بسبب نفوذها الاقتصادي أو الديني أو الثقافي (ساسون ان شوستاك ٢٠١٦، ٢١)

يستخدم غرامشي هذا التعبير لوصف الطريقة المعقدة التي تتصل بها الطبقات وشرائح المجتمع، وهي شبيهة بالصمغ

تقنع بقية الطبقات بتبني أفكارها، ولا يمكن أن يتم ذلك بالقوة ووسائل الإكراه، فالأيدولوجيا لا تدخل من باب القوة وإنما من باب الموافقة والإقناع (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٢٠٩)، بمعنى أن الدولة تقوم بسيطرتها السياسية عبر المجتمع السياسي، وهيمنتها الأيدولوجية عبر المجتمع المدني، ويتم ذلك عبر فئات المثقفين (المثقفين التقليديين)، وذلك بسبب إن مفهوم الهيمنة عند غرامشي يمتاز بإعلاء خاص لشأن المثقف، مؤكداً أولوية الثقافي في التأثير على الجماهير، وعلى حركة الثورة أو تأخيرها (سميث جيوفري و و كينتيني هور ١٩٩١، ٣٩٨).

يمكن تقسيم الهيمنة الأيدولوجية إلى مستويات تراتبية في العلاقة، من الأعلى إلى الأسفل، ويمكن تسميتها بالحقل الأيدولوجيا، يضم هذا الحقل ثلاث عناصر أساسية (الفلسفة (يحيى خليفة ٢٠١٤، ١٩))، الدين (يحيى خليفة ٢٠١٤، ٢٤))، الحس المشترك (يحيى خليفة ٢٠١٤، ٢٤))، ولكي تحافظ الدولة على هيمنتها الأيدولوجية، وسيطرتها السياسية، لابد أن تحافظ على تماسك عناصر الحقل الأيدولوجيا، وعلاقتها بالبنية الفوقية، لأنها تعد مصادر الأيدولوجيا (يحيى خليفة ٢٠١٤، ٢٤)، وحتى هذا لا يتم إلا بالمثقفين الذين يتولون ممارسة الهيمنة والسيطرة، منهم على حد تعبير غرامشي «وكلاء الفئة السائدة، في ممارسة الوظائف الفرعيتين في الهيمنة الاجتماعية والحكم السياسي

وبنية فوقية، فالدولة حسب غرامشي تتكون من مجتمع سياسي، ومجتمع مدني (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٩٦) (*، ويرى إن الدولة، كي تعيد إنتاجها، وتضمن إستمرارها، وتجدد طرق سيطرتها على الجماهير، تلجأ إلى وسيلتين هي القمع والأقناع، فالدولة تكتمل بفعليها (السيادة، والقيادة) (سميث جيوفري و و كينتيني هور ١٩٩١، ١٩٦)، ولا يتم ذلك إلا عن طريق هاتين القناتين (المجتمع المدني، والسياسي)، واللذان يشكلان بنيتين داخل البنية الفوقية المتمثلة بالدولة، يأخذ المجتمع السياسي على عاتقه القيام بوظيفة السيطرة، وتتصف السيطرة بفرض معايير وضوابط باستخدام القوة، وبإمكانه استخدام وسائل الإكراه أيضاً، ويتمثل فرض المعايير والضوابط في منظومة من القوانين، التي توجب على الفرد الانصياع لها، وتشمل وسائل الإكراه، والجيش، والشرطة، والسجن (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٢٠٨).

أمّا وظيفة الهيمنة، فتجري ممارستها أساساً عن طريق المجتمع المدني، على مستوى الثقافة والأيدولوجيا (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٢٠٨) (*، فمن خلالها تحصل طبقة من الطبقات على تأييد ومساندة الطبقات الأخرى التابعة لها، ولكي تصبح لهذه الطبقة القيادة والحكم، يجب أن تكون قادرة على إقناع الطبقات الأخرى، بأنها الأجدر بتولي زمام الأمور، كما يجب عليها أن تنشر صورتها للعالم عن الحياة وقيمتها، بحيث

الأحزاب إلى ساحة الدولة، عندئذٍ تلجأ الطبقات الحاكمة إلى استعادة السيطرة، التي كادت أن تفلت من قبضتها، والذي يسعها امتلاكها كوادر كثيرة مدربة، على عكس الطبقات المحكومة التي تفتقر إلى التنظيم (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٢٨).

ثانياً: هيمنة الحزب

الحزب هو المكوّن الذي يربط البنية الفوقية بالبنية التحتية، تتألف البنية التحتية من طبقة البرجوازية المتحالفة مع الفلاحين الكبار (ملاكي الأرض)، وطبقة الأيدي العاملة والفلاحين الصغار، فعن طريق الحزب يمكن للطبقة العاملة أن تُجرّد الطبقة البرجوازية من هيمنتها، التي تمارسها على المجتمع، وهنا يمارس الحزب دوره بكونه أحد عناصر المجتمع المدني. ولكنه في الوقت نفسه أحد عناصر المجتمع السياسي، كيف ذلك؟

الحزب يقوم بإعداد المثقفين لوظائف الدولة (وظائف سلطة الدولة)، وبعد أن يتم بلوغ السلطة، يتولى هؤلاء هذه الوظيفة تحت إمرة الحزب، فضلاً عن ذلك يؤثر الحزب بطريقة غير مباشرة على الدولة، فيقدم لها الأساس الأخلاقي، وذلك عبر ممارسته للهيمنة على المجتمع، فالحزب قبل كل شيء، تنظيم طبقي يمارس أو يسعى إلى أن يمارس هيمنته على مجمل الجماهير الشعبية، حتى يناضل ويكافح بفعالية الطبقات المناوئة، فهو يمارس وظيفة الهيمنة على الجماهير، بقدر ما يقودها سياسياً (جان مارك بيوقي ١٩٩٨،

جان مارك بيوقي ١٩٩٨، ٢١١)»، حيث يشكل المثقفون جزءاً من نظام الدولة، بسبب وضعهم داخل الأجهزة الأيدولوجية للدولة، كما أنهم يرتبطون بالمجتمع المدني، من خلال دورهم كمعبرين اجتماعيين للجماعات الاجتماعية المختلفة، لذلك يمكن اعتبار المثقفين موظفين لدى الدولة، وأيضاً معبرين أيدولوجيين للمجتمع المدني (سميث جيوفري و وكنيتين هور ١٩٩١، ٣٢٤)، ولكن في وقت من الأوقات تتعرض الدولة (الطبقة السائدة) إلى أزمة هيمنة، أطلق عليها غرامشي (أزمة السلطة)، تحدث هذه الأزمة، أما بسبب فشلها في مشروع سياسي كبير مثلاً، كأن يكون حرباً، أو لأن جماهير غفيرة من الفلاحين أو مثقفين البرجوازية الصغيرة، قد انتقلت فجأة من حالة السلبية السياسية إلى حالة النشاط، طارحة مطالبها، حتى وأن كانت غير محكمة الصياغة، إلا أنها بشكل ما تغذي الثورة، عندئذٍ تكون بصدد أزمة عامة للدولة، تحدث هذه الأزمة عندما تنفصل الطبقات الاجتماعية عن أحزابها التقليدية، وبعبارة أخرى، لم تعد تلك الأحزاب ممثلة لطبقاتها، كما أنها لم تعد تواكب التطور الحاصل، عندئذٍ ترفض الطبقات التابعة لها الاعتراف بها، وفي هذه الحالة يصبح الوضع حرجاً، حيث إنه يفسح المجال أمام الحلول العنيفة ونشاطات القوى المجهولة، التي يمثلها رجال القدر (الكاريزميون)، في هذا الوضع يحدث الصراع، حيث يثور الممثلين على الممثلين، ثم ينتقل الصراع من ساحة

من تحقيق أهدافها، وهنا يرى غرامشي أن السبيل الوحيد إلى تكوين إرادة جماعية، هو اتحاد العفوية الشعبية وانضباط الحزب (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٠٥). «فالأحزاب تنشأ وتتشكل كتنظيمات، لكي تؤثر في الوضع القائم، في لحظات تاريخية حاسمة بالنسبة لطبقتها، ولكنها ليست قادرة دائماً على التكيف مع المهام الجديدة، ومسايرة تطور مجمل علاقات القوى في البلد» (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٣٠).

ما تم ذكره سابقاً، هو من المهام التي يجب على الحزب القيام بها لتحقيق له الهيمنة على الجماهير، أما إذا لم يهتم الحزب لمشاغل الطبقة العاملة، فإنه سينفصل عن الطبقة الممثل لها رويداً رويداً، ليؤسس لنفسه طائفة مغلقة، ويناضل في إطارها وخارج إطارها، ضد كل ما يمكن أن يعرض امتيازاته للخطر، وعندئذٍ على حد قول غرامشي تسود روح البيروقراطية داخل الحزب، ويعيش أزمة هيمنة تسمى «أزمة هيمنة الحزب السياسي» (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١١٥)، تحدث هذه الأزمة، عندما لا يعرف الحزب كيف ينمو مع إيقاع الواقع، وتصبح أكثر القوى السائدة بيروقراطية (سميث جيوفري و وكينتين هور ١٩٩١، ٣٢٤)، إذا ما تحول الحزب إلى كيان يعتمد على نفسه، ويشعر باستقلاله عن الأغلبية الساحقة، عندئذٍ يصبح شيئاً بالياً، وفي لحظات الأزمات الحادة يفرغ من محتواه، ومن مضمونه الاجتماعي، ويبقى

(٢١٣)، إذاً كيف يمارس الحزب بفاعلية وظيفته الهيمنية؟

يمارس الحزب هيمنته بوصفه منظماً ومنظراً للطبقة العاملة في نضالها ضد البرجوازية، فهو من يُنشئ، وينشر، تصور البروليتاريا للعالم، ويأشر بالإصطلاح الثقافي للجماهير، حتى يرفعها إلى مستوى ذلك التصور، كما إنه يستخلص خطأً سياسياً تحت قيادة الطبقة العاملة، من خلال تحليل علاقات القوى في وقت معين، لتركيز جهود الجماهير للاستيلاء على السلطة، فضلاً عن توحيد الفكر والعمل، فهو يُنشئ فلسفة يربي الجماهير بها، ويسعى إلى صياغة مجتمع على صورة تلك الفلسفة، لا تُثم تلك النشاطات إلا إذا توفر للحزب إمكانية قيادة الجماهير وتربيتها، من خلال تعلمه كيف يفهم ويفسر مشكلاتها (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٩٥).

ولا يتم ذلك إلا بأن يعيش الحزب مشاعر الجماهير الشعبية، ويفسرها من خلال ربطها بالأوضاع السياسية، والتاريخية، ومن ثم ربطها جديلاً بتصور الطبقة العاملة، وعلى هذا الأساس يقول المثقف الماركسي ما تحس به الطبقة العاملة (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ٩٨).

ولذلك أولى غرامشي اهتماماً بالغاً بالحركات العفوية (ساسون ان شوستاك ٢٠١٦، ١٠٥) التي تربط بين الجماهير، فهي سمة مميزة لتاريخ الطبقات، التي تكون في موقع ثانوي في المجتمع، بسبب عدم امتلاكها أدوات سياسية، واقتصادية، وثقافية، تمكنها

واسع، يعبر عن إرادة جماعية وطنية شعبية، لتقدم مساهمتها الخاصة في التقدم نحو الاشتراكية، من خلال إستراتيجية بناء كتلة واسعة من القوى الاجتماعية الموحدة المتنوعة، بمفهوم مشترك للعالم، وهو ما أطلق عليه غرامشي (حرب المواقع) (ساسون ان شوستاك ٢٠١٦، ٢٤) (*) (RogerSimon ١٩٩١، ٢٧). حسناً كيف سيتم ذلك؟

يجب أن يكون هنالك اتصال مسبق بين الحزب والفلاحين، إن أنجح وأسرع طريقة للسيطرة أيدولوجياً على فئة معينة ما، تكون عن طريق المثقفين، أي اجتذاب قادتها الطبيعيين لتمثيل الفلاحين، وارتباطهم عضوياً بالحزب لتمثيلهم، هذه الأهمية المعززة للحزب لا ينبغي أن تفاجأنا، لأننا رأينا كيف أن الطبقة الاجتماعية لا تعي ذاتها، ولا تنظم نفسها، إلا من خلال مثقفيها، ومن ثم فإن الطبقة تفلح بممارسة هيمنتها، بقدر ما تفلح بربط مثقفي الطبقات الأخرى بها (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٣١).

أما ثقافياً، فيرى غرامشي إن من متطلبات الهيمنة الإصلاح الفكري والأخلاقي، ولا يتحقق إلا عن طريق تغيير الوعي الشعبي، أي تغيير تفكير الناس وشعورهم، وتصوراتهم عن العالم، ومعايير سلوكهم الأخلاقي، بمعنى نقد الفطرة السليمة وتطوير نواتها الإيجابية إلى فطرة اشتراكية جديدة ومتناسكة.

أما اقتصادياً، فعلى البروليتاريا وهي الطبقة

كأنه مبني من الفراغ ومعلقاً بالهواء، ومن دون أساس يستند عليه، ودون أطار يحويه، يتصل هذا النوع من الظواهر بوحدة من أهم قضايا الحزب السياسي، وهي عدم قدرة الحزب على مقاومة التغير المستمر، والتحول إلى مومياء (انطونيو غرامشي ١٩٩٤، ٢٣٠)

هيمنة البروليتاريا:

ينطلق مفهوم هيمنة البروليتاريا لدى غرامشي من نقطة أساسية مفادها، إن للطبقة العاملة وممثليها ممارسة السلطة على الطبقات التابعة لها، عن طريق مزيج من الإكراه والأقناع (RogerSimon ١٩٩١، ٢٤)، إذن ما الذي يؤهل طبقة البروليتاريا لتكون طبقة مهيمنة؟.

لتكون طبقة البروليتاريا طبقة مهيمنة، يجب عليها أن تقود الشعب سياسياً، وثقافياً، واقتصادياً (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٣١). تقود طبقة البروليتاريا الجماهير سياسياً من خلال فكرة بناء التحالفات، فهو أمر أساسي لمفهوم الهيمنة، فلا يمكن للطبقة العاملة أن تتطور إلى طبقة مهيمنة، إلا من خلال مراعاتها لمصالح الطبقات الأخرى والقوى الاجتماعية، فضلاً عن إيجاد طرق لدمجها مع مصالحها الخاصة، فتكون على استعداد لتقديم التنازلات، من أجل أن تصبح وطنية، ممثلة لكتلة واسعة من القوى الاجتماعية (ساسون ان شوستاك ٢٠١٦، ٢٤).

بمعنى يتطلب توحيد مجموعة متنوعة من القوى الاجتماعية المختلفة، في تحالف

المتقدمة تاريخياً، أن تمارس هيمنتها على الطبقة الفلاحية، وينبغي على مثقفي البروليتاريا أن يمثلوا مثقفي الفلاحين، والحزب هو الوساطة التي تحقق التلاحم بين الاثنين، فهو يربط مثقفي طبقة العضويين بمثقفي طبقة الفلاحين التقليديين، وقد وضح ذلك من خلال إعادة طرح سابق للينين (تحالف الفلاحين والبروليتاريا) من خلال دراسة مشكلة (ميتزو جيورنو) (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٣١) (*)، فكما ينبغي على البروليتاريا أن تمارس هيمنتها على الطبقة الفلاحية، كذلك ينبغي على الشمال وهو المنطقة المصنعة، أن يوجه تطور الجنوب الاقتصادي، بما تتمتع به البروليتاريا الشمالية من درجة عالية من الوعي الثوري، والتنظيم السياسي، يؤهلها لأن تكون القوة الوحيدة القادرة على قيادة مجمل القوى الشعبية، ضد السيطرة المتضافرة لملاك الجنوب العقاريين، وبرجوازية الشمال (جان مارك بيوتي ١٩٩٨، ١٤٠).

أما في حال فقدت الطبقة هيمنتها، سيؤدي ذلك إلى الثورة، ومن ثم فقدان السلطة، عندئذٍ تلجأ الدولة إما إلى إنجاح الثورة، باللجوء إلى الوسائل الدكتاتورية في إبادة قادة الطبقة، أو بفرض هيمنتها تدريجياً، بالقضاء على المنظمات الأيديولوجية المعارضة لسلطة البروليتاريا، وهذا هو الموقف الذي تؤول فيه السياسة إلى القوة، ولا يكون إلا في فترات التآزم، وهذا ما يطلق عليه غرامشي (هيمنة محصنة بالقمع).

مجتمع مدني
ايدولوجياً الحزب
(مثقفين عضويين)
طبقة برجوازية متحالفة مع كبار الفلاحين
طبقة عاملة متحالفة مع الفلاحين الصغار

لكي تحقق الهيمنة يجب أن تكون على ثلاث مستويات مستوى سياسي، أخلاقي، مستوى اقتصادي.

ما يسعى إليه غرامشي هو مساواة الحزب بالدولة أو اقتصاص الدولة من قبل الحزب

الحزب
الحزب-الدولة-الحزب
الحزب البروليتاريا

الخاتمة

يرتكز مفهوم الهيمنة لدى غرامشي على (الإكراه والموافقة) فالدولة تتكفل بفعل السيادة الذي يمارس عن طريق المجتمع السياسي، الذي يقع على عاتقه فرض السيطرة باستخدام القوة والإكراه، وفعل القيادة الذي تمارسه عن طريق المجتمع المدني، باستخدام الثقافة والأيديولوجيا، ويتم ذلك بالأقناع فالأيديولوجيا لا تدخل من باب القوة وإنما من باب الأقناع ووسيلتها

في ذلك المثقفين الذين يكونون وكلاء الدولة. لا تنفرد الدولة وحدها بممارسة الهيمنة، فالهيمنة من الممكن أن تتواجد في مكون الكتلة التاريخية، مكون الحزب، أو مكون البروليتاريا، بمعنى أن غرامشي لم يخص طبقة معينة بالهيمنة فقد اعطى حق ممارستها لكل فئة تمتلك أمكانيات ووظيفة بيروقراطية.

وبذلك يكون غرامشي قد نظر للسلطة بوصفها متعالية فوقية متمثلة بأجهزة الدولة والقوى الاجتماعية الكبرى المحتكرة للعنف والقهر الذي يتحول احياناً إلى قوانين

مجموعة مؤلفين مختصين. «قاموس الفكر السياسي». تحرير انطوان حمص. سلسلة دراسات سياسية وفكرية، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٤.

منير البعلبكي. المورد الحديث. دار العلم للملايين، ٢٠١٢.

منير البعلبكي. المورد الكبير. الطبعة الخامسة. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩.

منير البعلبكي. «قاموس المورد». بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩.

يحيى خليفة. غرامشي. العراق- الديوانية: دار ينبور للطباعة والنشر، ٢٠١٤.

المصادر والمراجع

Roger Simon. «Gramsci political Thought». ١٩٩١.

ان شوستاك ساسون. مداخل الى غرامشي. ترجمة سحر توفيق. الطبعة الخامسة. المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦.

جيوفري سميث، و نويل و كينتتين هور. «غرامشي وقضايا المجتمع المدني». ترجمة فاضل جتكر. مؤسسة عيبال، ١٩٩١.

حارث سليمان الفاروقي. المعجم القانوني. الطبعة الخامسة. مكتبة لبنان، بلا تاريخ.

عادل غنيم، مقدمة دفاتر السجن ١٩٩٤

عبد الوهاب الكيالي. «موسوعة السياسة». دار الفارس، ١٩٩٤.

مارك بيوتي جان. فكر غرامشي السياسي. ترجمة جورج الطرابيشي. الطبعة الاولى. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٨.